هذه حوائط فرعونية الضخامة والشموخ ، ارتقينا السلم الى بوابة عالية ، الأرض تحت أقدامنا بيضاء ملساء ناصعة ، وسحر جارف مخير يتدفق على وجهى مع النسيم الرطيب ، كان علينا بعد عبور البوابة أن نهبط سلما آخر ، لكن اتجاه السير زاغ فجأة من كل العيون ، كل منا جذبه خيط من الدهشة ، ثم غلالة من الذهول ، فلما أفاق ، وجد نفسه قد خطا خطوات مسحورة ، فابتعد عن الآخرين ، سكتت الألسنة ، وتجمدت بقايا الكلمات ، فهناك فوق أبسطة أسطورية من الجمال والجلال ، كانت قد لاحت أضواء المعجزة ٠

ـــ تفضلوا بالسير ٠

وأفقنا ، كانت المضيفة تتأملنا مبتسمة من بعيد ، تبعناها على ممشيين بين الحدائق ، تتوسطهما بحيرة صناعية فاتنة ، قاعها وجدرانها من أبهى الأحجار الكريمة ، ومياهها تترقرق مرايا بلون السماء ٠٠ تراقص صور السحاب والناس والجمال المطبق ، غرقنا بين الحشائش والأشجار والظلال ، اشتهيت اشتهاء طفوليا دفينا ، أن أتمدد على صدور تلك الحشائش دهرا من الزمان ، لكن « تاج محل » كان قد أصبح على مرمى البصر ، أسطورة خرافية البريق ٠٠ تنادينا الى حلم مزلزل الفرح ٠٠ وشته بعض أطياف الحقيقة ٠

ـــ أيها السلطان شاه جاهان !! كيف قيدت هذا الحلم على أرضنا ؟

ـــ منذ البداية ، أفضل ان أحكى منذ البداية ٠

ـــ بل منذ ما قبل البداية ٠٠

ـــ كنت ما أزال أميرا عند مطلع الشباب يوم أحببتها ، لا ، يوم عشقتها ، لا لا ، عندما صحوت من تيه الصبا على وجه ممتاز ، فجرا طاغيا فى سمائى العطشى ، فلما التقى هوانا لم تعد عيناى تريان الليل ، تسعة عشر عاما الى جوارها أميرا وملكا لم يمر الليل بأرضى ، ولم يهبط المساء على عرس حبى لممتاز ٠

ـــ هل كانت احدى أميرات القصر ؟

ـــ ليس تماما ، فقد كانت عمتها الفارسية هى زوجة أبى السلطان ٠

ـــ ثم ؟

ـــ ثم أنجب حبنا ثلاثة عشر ولدا وبنتا ، لكنها تعثرت فى حبائل الولادة الرابعة عشرة ، فأغمضت عينيها عن بكائى وعذابى ورحلت ٠

ـــ بعد كل هذا الانجاب كان لابد أن يقهر الجمال ويرحل ٠